

بسم الله الرحمن الرحيم

مقومات وعناصر الحرب الناعمة

د. علي الحاج حسن

(أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية)

● مقدمة

يعتبر مصطلح "الحرب الناعمة" واحداً من المصطلحات التي شاع استعمالها في الآونة الأخيرة حيث تم تداوله بشكل واسع بعد الانتخابات الرئاسية الإيرانية عام 2009 وذلك بعد ان ذكره الإمام القائد (دام ظله) في خطاباته للدلالة على واحد من الحالات التي تستهدف الجمهورية الإسلامية من خلاله.

والواقع ان المصطلح بدأ بالرواج مع الكاتب الامريكي جوزيف ناي الذي قدم في العام 2004 كتابه الشهير " القوة الناعمة" وكان قد مهد له قبل ذلك بكتابين الاول كتاب "مفارقة القوة" الذي صدر عام 1991 بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والثاني " ملزمون بالقيادة" الذي صدر عام 2001 .

لو عدنا الى الظروف الحقيقة التي دفعت جوزيف ناي¹ لاصدار كتابه هذه لوجدنا انها جاءت بعد فترة الحرب الباردة بين امريكا والاتحاد السوفيتي [مفارقة القوة] وبعد احداث ما يسمى بالحادي عشر من ايلول [ملزمون بالقيادة] وكذلك بعد الغزو الامريكي لأفغانستان وال العراق [القوة الناعمة] إذ ان هذه التجارب الثلاث اوضحت للامريكي ان التوسل بالقوة العسكرية لم يكن مفيداً إلى الحدود التي يريدها ، لا بل هناك اساليب ووسائل يمكن اتباعها تؤدي الى نتائج كبيرة ولا تتطلب الكثير من الامكانيات والجهود والخسائر والاموال... وعليه فالقوة الناعمة من

¹- تجدر الاشارة الى ان جوزيف ناي واحد من الذين تولوا مسؤوليات متعددة في الولايات المتحدة ، فهو كان يشغل منصب نائب وزير الدفاع في عهد كلينتون ومدير مجلس المخابرات الوطني وعميد كلية الدراسات الحكومية في جامعة هارفرد.

وجهة نظر جوزيف ناي هي : " القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً من الارغام أو دفع الاموال . وهي تنشأ من جاذبية ثقافة بلد ما ، ومُثله السياسية وسياساته فعندما تبدو سياستنا مشروعة في عيون الآخرين تنسع قوتنا الناعمة..."²

يتضح من هذا التعريف ان العناصر الاساسية المكونة للحرب الناعمة او القوة الناعمة هي الاساليب والوسائل الجاذبة التي تعتمد على ثقافة معينة فتتمكن من تشكيل القدوة الجاذبة للآخرين . وهذا يعني ان استبدال ما هو موجود عند الغير متوقف على مقدار المهارة والجاذبية التي يظهرها الطرف الاول . فالمستهدف يختار بنفسه ما اتجه الخصم من دون ان يلحداً ذلك الخصم الى الإكراه والإجبار .

سنحاول في هذا المقال الاطلاع على الحرب الناعمة باختین عن اهم عناصرها ومقوماتها ووجه الحاجة اليها مسیرین الى مصادر القوة الناعمة الامريكية ومن ثم نبحث في العناصر المشتركة بين القوة الناعنة والعملة .

● عناصر ومقومات القوة الناعمة

تقوم القوة الناعمة على مجموعة من العناصر والمقومات تعتبر الاساس في وجودها اذ بدونها لا يمكن لطرف ما ممارسة حرب ناعمة على الآخرين . وهذا يعني ان كل من اراد ممارسة هذه الحرب لا بد ان تتوافر لديه هذه المقومات والعناصر .

1- القيم

تشكل القيم العنصر الاساس في القوة الناعمة . والقيم هي المبادئ التي تشكل ماهية وهوية الفرد والمجموعة ، اذ بدونها يبدو الفرد وكذا الجماعة فاقداً للقيمة الحقيقية . والقيم هي الامور التي يفتخر بها الافراد والجماعات كونها تشكل قناعاتهم وخلفياتهم السوكية ... وعلى هذا الاساس فإذا كانت الحرب الناعمة تقوم على اساس الجاذبية في الطرح ، فكلما كانت القيم جاذبة كانت محل تأثير في الآخرين . ومن هذا المنطلق نفهم الكثير من المحاولات التي دأب الامريكي على اتباعها والتي تمثل في الحديث عن قيمه الفردية والجماعية وعرضها على المجتمعات الفاقدة لها ، بدءاً من التحرر الى الديمقراطية والليبرالية وما شابه ذلك .

ما لا شك فيه ان الامة التي تشعر بان قيم الآخرين أكثر جاذبية من قيمها فستعمل من دون شك على استبدالها بها.

والقيم عنوان واسع جداً إلا ان الابرز فيها هو بعد الثقافي وبعبارة اخرى ان لكل جماعة ، مجموعة من القيم الثقافية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية وغيرها... وهنا المطلوب من الذي يمارس الحرب الناعمة ان يحسن اظهار قيمه ويبين تفوقها على قيم الآخرين عند ذلك يتحرك الآخرون نحوها بأنفسهم ويطلبونها بارادتهم من دون حاجة الى الإكراه والإجبار وما شابه ذلك . ولعل القيم الثقافية هي أكثر الامور حساسية على مستوى التأثير على الآخرين . ومن هنا نفهم المحاولات الامريكية التي تشجع هجرة الطلاب للدراسة فيها ، اذ يصبح هؤلاء بعد المدة التي يقضوها ، مثقفين بتلك الثقافة معجبين بها طالبين لها ورافضين لثقافتهم وقيمهم . وفي هذا الاطار يقول احد الباحثين : إن عشرات الملايين من سكان هذا الكوكب يحلمون بان يصبحوا مواطنين اميركيين ليقينهم بان امريكا هي بامتياز بلد الحرية الفردية وتتوفر الفرص والابداع التكنولوجي المستمر ، والحركة المهمي غير المحدود والترقي الاجتماعي القادر على تجاوز الفروقات والحواجز التقليدية .³

ويعتمد هذا الامر بشكل اساس على ما تجدر ثقافيا وفكرياً لدى هؤلاء الافراد وبما حملوه من قيم وجدوها في الغرب وامريكا ولم يتسرى لهم رؤيتها في بلدانهم .

ولو عدنا الى صاحب فكرة القوة الناعمة لوجدنـاه يعول وبشكل كبير جداً على مسألة القيم حيث يعتبر ان القوة الناعمة تنشأ والى حدود كبيرة من القيم التي تعبر عنها منظمة او بلد ما في ثقافته وفي الامثلة التي تضربها ممارساته الداخلية والسياسية ، وفي الطريقة التي يعالج بها علاقته مع الآخرين ⁴ . ويبين ان الثقافة هي المكون الاول والاساس للقيم فيعتبرها الامر الذي يخلق معنى للمجتمع . وللثقافة مظاهر متعددة كالادب والفن والتعليم ⁵ ... وفي اطار القيم الثقافية والفكـرية يمكن الحديث ايضاً عن دور التقدم العلمي والتـقني والبناء الاجتماعي الحديث في ممارسة الحرب الناعمة . والتـقدم العلمي في مختلف المجالـات كان

³- اميركا والعالم ، غسان سلامة ، دار النهار ، الطبعة الاولى 2005 ، ص 11

⁴- القوة الناعمة ، ص 28

⁵- المصدر نفسه ، 32

محط أنظار الشعوب والأمم البعيدة نوعاً ما عنه ، حيث يخلق لديها صورة عن الآخر تجعله في مصاف المتقدمين والتطورين والعمالقة الذين يجب اللحوق بهم . ولعل داء عدم الثقة بالنفس الذي اصيبت به بعض المجتمعات ناشئ من التطلع الى تلك الانجازات العلمية على انها لا تصدر إلا من مجتمع يمتلك خصائص معينة ، وإذا رغبنا في الوصول اليها والحصول عليها فلا بد ان نكون مجتمعاً شبيهاً بهم .

من جهة اخرى يعتبر البناء الاجتماعي واحداً من العناصر الاساسية للحرب الناعمة اذ ان الشعوب تنشد قيماً اجتماعية تتلاءم مع شخصيتها وافكارها إلا ان القرن الاخير يبين ان الكثير من القيم الاجتماعية قد تتغير تبعاً للتغير بعض المعطيات الاخرى. فإذا لم يتمكن الامريكي على سبيل المثال من الترويج لقيمه الاجتماعية ولم يتمكن من جعل الشعوب الاخرى تتقبل فكرة التفكك العائلي فإنه جعل الامر واقعاً وحقيقة بعد ان ربط البناء العائلي والأسرى بالثورة التكنولوجية والصناعية الحديثة وذلك عبر الدعوة والعمل من اجل جعل الأفراد والجماعات تتحرك في اتجاه الانسجام الكامل مع التكنولوجيا وهذا يتطلب بشكل او باخر الابتعاد شيئاً ما من القيم الاجتماعية.

2- الشباب

صحيح ان كافة افراد المجتمع يقعون تحت تأثير الحرب الناعمة فيقبل البعض قيم الآخرين ويرفضها آخرون إلا ان عنصر الشباب هو العنصر الاساس في الحرب الناعمة وذلك لما يتمتع به هؤلاء من بناء فكري ونظري وثقافي وبسبب ما يحملونه من قيم واعتقادات . فإذا كان الشاب في بداية طريق تشكيل شخصيته واكتساب هويته فليس من السهل اقناعه بثقافة وقيم الآباء والاجداد اذا ما وجدت ثقافة وقيم اخرى يمكنها ان تشغل حيزاً من تفكيره وسلوكه وارضاء متطلباته.

وبعبارة اخرى الشباب أكثر استعداداً لقبول قيم الآخرين أكثر من غيرهم للأسباب التي تقدمت ، ومن هنا فالذى يمارس حرباً ناعمة على الآخرين سيكون ناجحاً فيما لو ركز اهتمامه على عنصر الشباب . يشير الامام القائد الى موضوع الشباب ودورهم في الحرب

الناعمة ويقول : "الشباب الجامعيون هم ضباط الحرب الناعمة" ⁶ . طبعا هؤلاء قد يكونون وسيلة لوجود الحرب الناعمة وتكريسها حقيقة وقد يكونون وسائل لمواجهة هذه الحرب ودفعها . وكما يمكن جعل الشاب يقتتنع وينجذب الى الآخرين يمكنه ان يكون محسناً امام ذلك.

وفي هذا الاطار يقول جارد كوهين رئيس قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الامريكية : ان الشباب والنساء في الشرق الاوسط قد اصبحوا ناضجين لتقبل تأثيرات السياسات والافكار الامريكية من خلال بوابات ومنافذ تكنولوجيا الاتصال والاعلام ⁷ . وهنا يبرز الدور المعمول على الشباب في تقبل ما يريدونه الاعداء.

3- وسائل الاعلام والدعائية...

تشكل وسائل الاعلام على اختلافها الواسطة الاساسية لنقل القيم الى الطرف المستهدف ، لا بل تلعب وسائل الاعلام على اختلاف انواعها واسكالها الدور الاساس في جعل القيمة ذات جاذبية عند الآخرين . وللوقوف على خطورة وسائل الاعلام يكفي الرجوع الى احدى عبارات الامام القائد (دام ظله) حيث يقول : " ان وسائل الاعلام لا تقل خطورة عن القنبلة الذرية من حيث قدرتها التدميرية" ⁸

وإذا كان عالم اليوم يتوجه نحو الاعلام والمسلسلات والافلام والانترنت ووسائل التواصل التي يمكنها ان تقدم اقبح الصور على انها الاجمل ، فان الخطير الذي يفرض نفسه على المجتمعات وقيمها يصبح جدياً وكبيراً .

وتكمّن الخطورة في ان الاجهزة الاعلامية والاتصالية تقدم للفرد انساقاً معرفية وثقافية وتربيوية تعمل على ايجاد : التشتت والتشويش واللايقين عند الآخرين وكلها امور تدعو الى الابتعاد عن الحقائق والواقع . وقد وصل الامر فيها الى اقصى درجاته في بناء "الفرد الرقمي

⁶- نفأً عن كتاب رؤية الامام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة ، مركز قيم للدراسات الثقافية ، الطبعة الاولى 2011 ، ص 89

⁷- المصدر نفسه ، ص 62

⁸- المصدر نفسه ، ص 123

الثوري" المتمرد على كل الايديولوجيات الثقافية والدينية والسياسية والذي تمكّن من اسقاط ⁹الديكتاتوريات العربية.

وقد اشار جوزيف ناي الى هذه الحقيقة ودور وسائل الاعلام والاتصال ... فقال : ان مصانع هوليود وبغض النظر عن فسادها وعدم نظافتها فهي اكثر ترويجاً للرموز البصرية للقوة الاميركية الناعمة من جامعة عريقة كجامعة هارفرد ، وذلك لأن الامتناع الشعبي للافلام الاميركية - الجنس والعنف والابتذال- كثيراً ما يحتوي على صور ورسائل لا شعورية عن الفردية وحرية الخيار للمستهلك وقيم اخرى لها رسائل سياسية مهمة ومؤثرة. وهذه السلبيات - الجنس والعنف والابتذال- هي ما ياتي بالناس الى شبكة التذاكر ودور السينما لحضور مشاهدة الافلام الاميركية وهي ما يسرق انتباه المشاهدين نحو القنوات والبرامج التلفزيونية الاميركية. ¹⁰

وتبدو المسألة ذات خطورة كبيرة إذا ما علمنا الاقبال الواسع من الشباب على الانترنت ووسائل الاعلام والترفيه وما شابه ذلك . وقد جاء في دراسة بحثة الاكسبرس الفرنسية ان النسبة الكبيرة المقدرة (90%) من المتصفحين والمستهلكين لشبكة الانترنت في الشرق الاوسط والمنطقة العربية هم من الشباب والاطفال والراهقين الذين تتراوح اعمارهم بين 14 و34 عاماً ¹¹ . وتشير الدراسات الى ان هناك 42000 موقع وصفحة الكترونية عربية على شبكة الانترنت اغلبها موقع ترفيهية وسياحية وشعرية وغنائية ونسائية وسينمائية ، وان اكثراً من (60%) من القنوات والمواضيعات التي يبحث عنها المتصفحون ترفيهية وفنية وفنية وغنائية وسينمائية ¹²

ان العناوين التي تقدمت هي اهم وابرز عناصر ومقومات الحرب الناعمة وهذا لا يعني عدم وجود عناصر اخرى بل هناك عناصر عديدة ويمكن القول انها كبيرة وغير محدودة باعتبار ان

⁹- ثورات القوة الناعمة في العالم العربي ، علي حرب ، نفلاً عن رؤية الامام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة ، ص 124

¹⁰- القوة الناعمة ، ص 81-82

¹¹- صحيفة السفير ، العدد 11810 ، نفلاً عن رؤية الامام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة ، ص 129

¹²- رؤية الامام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة ، ص 129-130

الحرب الناعمة تقوم على اساس الجاذبية لذلك يسعى القائم بالحرب لاستعمال كل ما هو جاذب من دون ان يُحدّد نشاطه بعناوين خاصة .

وهنا وفي اطار الحديث عن عناصر ومقومات الحرب الناعمة ، يمكن طرح السؤال التالي : هل تمتلك امريكا مصادر قوة ناعمة ، وهل تستعين بهذا النحو من القوة لتنفيذ مآربها ؟ لو عدنا الى الدراسات التي اعدت في امريكا وفي الكليات المتخصصة لوجدنا ان الامريكي بدأ يسعى بعد انجذاب الاتحاد السوفيتي الى السيطرة على الدول والانظمة وتغيير قوالبها الماهوية واستبدال قيمها من خلال ما بدأ واخبططون له تحت عنوان القوة الناعمة . هذا من جهة ومن جهة ثانية فالولايات المتحدة كما يقول جوزيف ناي تمتلك مصادر كثيرة يمكن ان تقدم لها قوة ناعمة محتملة ... واضاف ناي قائلاً : "فاميركا ليست صاحبة اقتصاد في العالم فحسب ، ولكن ما يقرب من نصف اكبر خمس مئة شركة في العالم هي شركات اميركية . اي اكثر بخمسة اضعاف ما لدى اليابان ، التي تحل بعدها المرتبة التالية . كما ان اثنين وستين بالمائة من اهم العلامات التجارية العالمية اميركية وكذلك ثمان من اكبر عشر مدارس للاعمال التجارية ..."¹³

بالاضافة الى ما ذكر تعلم اميركا على عناوين اخرى تجعلها من المصادر الجاذبة للآخرين حيث يعددها ناي :

- الولايات المتحدة تتحذب ما يقرب من ستة اضعاف المهاجرين الاجانب اكثر من المانيا التي تليها.
- الولايات المتحدة اول و اكبر مصدر للافلام والبرامج التلفزيونية في العالم .
- هناك 28% من مجموع الطلاب الذين يدرسون خارج بلدانهم في اميركا.
- اكبر من 86 الف باحث اجنبي يقيمون في المؤسسات التعليمية الاميركية (هذا في العام 2000)

- الولايات المتحدة هي الاكثر نشرًا للكتب ... والى ما هنالك من العناوين التي يذكرها ناي والتي يعتبرها من اهم المصادر التي ينبغي ان تلجأ اليها امريكا في تعاملها مع الدول الاجنبية¹⁴...

● اوجه الحاجة الى الحرب الناعمة

هل تحتاج الدول او المجموعات الى الحرب الناعمة؟ في الجمل يمكن القول ان الخصائص والمميزات التي تمتاز بها الحرب الناعمة تجعلها اكثر مطلوبية عند الدول والمجموعات التي تحمل اهدافاً خاصة ترحب بالزام الآخرين بها . فعندما نتحدث على سبيل المثال عن العولمة فهذا يعني وجود جهة ترحب في جعل ما تحمله عالمياً اي انها تعمل على الزام الاطراف الاجنبية به. وبشكل دقيق تتجلى الحاجة الى الحرب في الامور الآتية:

1- الحرب الناعمة لا تحتاج الى المزيد من الانفاق ، لا بل تؤدي الحرب الناعمة في الكثير من الحالات الى الربح وتحصيل المكتسبات فالذى ينتج الافلام السينمائية والذي يسيطر على شبكات الانترنت يدر ارباحاً طائلة ويجعل افكاره نافذة عند الآخرين.

2- الحرب الناعمة جذابة فتتبع مقبولة عند الآخرين فلا تحتاج الى عناء وكما يقول حوزيف ناي : الاغراء اكثراً حاذية من الاغام.¹⁵

3- الحرب الناعمة تؤثر بالتأكيد على الآخرين فهي تكبـد العدو المفترض خسائر كبيرة.

4- الحرب الناعمة مضمونة النتائج اذ ان الذي يقوم بها سيحصل بالتأكيد على النتائج التي يعمل لاجلها.

5- الحرب الناعمة واسعة غير مؤطرة بعناوين خاصة لذلك يجد القائم بها ان امامه الكثير من الخيارات وبالتالي يمكنه سد الثغرات والخسائر التي تظهر في مكان ما عبر اللجوء الى عناوين اخرى.¹⁶

● الحرب الناعمة والعولمة

¹⁴- المصدر نفسه نص 62-64

¹⁵- القوة الناعمة ، ص 14

¹⁶- القوة الناعمة ، ص 14-20

تبين الحاجة الى دراسة العلاقة بين الحرب الناعمة والعولمة باعتبار ان الذي يمارس حرباً ناعمة يحمل قيمياً ويمتلك وسائل وادوات ويمكنه دفع الآخرين نحو القبول بما يريد وبالتالي تحقيق اهدافه . فهل يعتبر هذا العمل نوعاً من جعل الشئ عالمياً ، وهل تدرج الحرب الناعمة في اطار عملية العولمة؟

العولمة هي جعل الشئ على مستوى عالمي ، اي نقله من المحدود المراقب الى الالامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة ... وتتضمن العولمة معنى الغاء حدود الدولة في المجال الاقتصادي والسياسي والثقافي وترك الامور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكورة الارضية جميعها¹⁷ . وهنا لا بد من الاشارة الى مجموعة من النقاط:

1- العولمة فكرة بديلة عن الاستعمار المباشر ، تستخدم القوة الناعمة لفرض رؤية محددة على العالم . وهذا يعني ان من يمتلك رؤى وقيم واهداف معينة يمكنه ايصالها الى الآخرين والزامهم بها عن طريق الجاذبية فيكون ما يحمله عالمياً متجاوزاً للحدود بينما يؤدي الامر الى اقتلاع قيم وثقافة ... الطرف المقابل . ولعل ابرز نموذج على العولمة الواردة بواسطة الحرب الناعمة ، فكرة الليبرالية الغربية التي اصبحت ممثلة للنظام العالمي ...

2- تفترض العولمة وجود حالة تراضي بين الطرفين المستهدف والمستهدف وهذا يعني ان الطرف الاول يقدم افكاره بشكل معين بحيث يرضى بها الطرف الآخر ويعتبرها من جملة القيم التي يجب اتباعها والعمل واللحوق بها. وهذا يعني ان المجتمعات تدخل العولمة باختيارها او لانها لا تمتلك خياراً آخر .

3- ان وجود العولمة وادواتها يجعل صراع الحضارات امراً ضرورياً ، اذ من غير المتصور ان ترضخ كل المجتمعات بما تحمل من قيم للعولمة ، فالبعض سيرضخ والبعض سيرفض . وهنا يبرز الافتراق بين الحرب الناعمة والعولمة اذ ان الطرف الاول في الحرب الناعمة يلجأ الى اساليب ناعمة اخرى وفي العولمة تكون القوة الصلبة هي المساندة الاساسية لفرض مقتضياتها . ولعل الشاهد على ذلك ما نراه فيما يتعلق بفكرة الديمقراطية

¹⁷- العولمة والتحدي الثقافي ، باسم علي خريسان ، دار الفكر العربي ، ص 19

ونشرها . ألا نشاهد ان الدول الغربية تعتن بالdemocracy الغربية بالارهاب والتحجر ... وما شابه ذلك لتقوم في نهاية الامر بالتعامل معهم بالقوة .

● خاتمة

الحرب الناعمة قديمة بقدم البشرية على وجه الأرض إذ من عادة البعض أن يحصل على ما يريد من خلال إظهار الوجوه الجميلة في ما يعرض فينجذب نحوه الآخرين مخدوعين بذلك الجمال الجذاب . لا بل يمكن القول ان الحرب الناعمة واحدة من الأساليب التي يستخدمها إبليس في تعاطيه مع البشر بهدف الإغواء والتزيين والحصول على ما يريد¹⁸ . ولا تتحقق الحرب إلا إذا كان الطرف القابل مستعداً غافلاً عن قيمه وثقافته .. لذلك فإن امتلاك عناصر القوة في الحرب الناعمة وامتلاك وسائلها أمر ميسر وسهل وبسيط ، فالإنسان يبدع الكثير من الأمور الجذابة ، ويفقى أن الصعوبة تكمن في المواجهة . وتبدأ المواجهة من المعرفة بوجود الحرب الناعمة والبحث عن أدواتها ووسائلها وقبل ذلك يلعب التحصين الدور الأساس والاهم في مواجهتها وبالتالي إيجاد البديل الدافع وإيجاد الوسائل والأدوات التي تتمكن من المواجهة .

¹⁸ - كيف نواجه الحرب الناعمة ، الشيخ نعيم قاسم ، مركز قيم للدراسات الثقافية ، ص 11